الغاز، وبدأوا يتسللون إلى أعماق القبو لأسر كل من يحاول الاستسلام، أو الفرار من الغازات السامة. كانت تلك مهمة شاقة، فأتباع جهيمان لا يستسلمون بالرغم مما نالهم من الإرهاق والجوع وقلة النوم. واضطر السعوديون إلى التفكير في إدخال الخبراء الفرنسيين في العملية العسكرية الجارية في الحرم. وللحفاظ على المظاهر الإسلامية، طلبوا من النقيب باريل أن يعتنق الإسلام شكلياً، لكي يصحّ ادخاله إلى الحرم، بحسب ما تنص عليه الشريعة. وكان ذلك مظهراً جديداً للحذلقة السعودية الجوفاء. وبالاعتماد على معلومات العمال في شركة بن لادن، وخرائطهم عن القبو الذي تبلغ مساحته الإجمالية قرابة 65 ألف متر مربع، أمكن إعداد خطة سريعة لاقتحامه. وطلب الكابتن باريل من رئيسه الأعلى وزير الدفاع الفرنسي إيفون بورجيه أن يزوده بكميات كبيرة من الغاز الكيماوي لاستعمالها في القضاء على المعارضين السعوديين المختبئين في قبو المسجد الحرام. كما طلب باريل خمسين مرش غاز، وخمسمائة رطل من المتفجرات، وكمية من الصواعق والفتائل وثلاثة آلاف قناع واق. وقبلت طلبات الكابتن باريل، بعد أن أذن بتصديرها إلى السعودية رئيسُ الجمهورية الفرنسية بنفسه. واشترط القادة الفرنسيون على فريقهم أن يبقوا أدوارهم في العملية سرّاً محضاً، لكي لا يعرّضوا أمن بلادهم القومي للخطر. كما أصدروا أوامر جازمة للكابتن باريل بالذات، لكي لا يسمح لنفسه تحت أي ظرف من

> برز تخبّط ظاهر في بعض برقيات السفارة الأميركية عن وقائع ما جرى في مكة

الظروف، بالدخول إلى قلب المسجد الحرام، خصوصاً بعد أن اقترح في خطته التي قدمها لرؤسائه في باريس، أن يدخل ليقود العملية بنفسه.

وفي يوم 1 كانون الأول/ ديسمبر 1979، وصلت المواد التي طلبها بول باريل على متن طائرة «كارافيل» خاصة. وبدأت عملية تدريب تسعين عنصراً من نخبة عناصر «الحرس الوطني السعودي»، والقوات الخاصة الباكستانية، على مهام الهجوم الأخير. وتم تقسيم الجنود إلى مجموعات منفصلة تتكون كل منها من ثلاثة عناصر، يكلف أحد الجنود الثلاثة بإجراء الاتصالات مع غرفة القيادة، بينما يقوم الآخر بمهمة إطلاق الغاز، في حين ينفذ الضابط عملية تفجير أبواب حجرات القبو المغلقة. وتقاسم الفريق الفرنسي مهمة التأهيل، فدرّب باريل الضباط على تنفيذ التفجيرات، بينما قام زميلاه بتدريب الجنود على عملية الاتصالات، وعلى رش الغاز. وكان على الجنود السعوديين أن يحمل كل واحد منهم على ظهره أنابيب تحتوي على عشر كيلوغرامات من بودرة «دايكلورايد» وتتصل بضاغط تنطلق منها البودرة السامة. وحدّد الموعد النهائي لتنفيذ عملية اقتحام القبو، في الساعة العاشرة صباحاً من يوم الرابع من ديسمبر 1979. وبدأت المجموعة المكلفة بالاقتحام بالهجوم على آخر معقل للمتمردين. وخلال ساعات قليلة شلّت قدرات المتمردين على المقاومة. وقتل بواسطة الغاز السام كثير من المتحصنين في القبو، واضطر آخرون إلى الخروج والاستسلام، وهم يرتجفون على نحو لا إرادي. وكان آخر من سلّم نفسه هو جهيمان العتيبي.

■■■

في 9 كانون الثاني/ يناير 1980، اقتيد ثلاثة وستون من المتمردين إلى ساحات الإعدام، في ثماني مدن متفرقة في السعودية. وكان أول من قطع رأسه هو جهيمان قائد الثوار، في مكة. وفي الرياض كان الأمير سلمان بن عبد العزيز يشرف بنفسه على حفلة قطع الأعناق. وأمسك أمير الرياض في يده ورقة فيها أسماء المدانين، والقبائل التي ينتمون لها. وقرّر سلمان أن يُقطع رأس كل مذنب بواسطة واحد من أفراد قبيلته، وأمام عيون أسرته. وكانت تلك طريقة سلمان في التشفي والإذلال. ونال الجنود الباكستانيون مكافآت مالية مجزية، وأما الجنود السعوديون فقد نالوا المال، وحظوا بمساكن جديدة أهداها لهم الملك خالد. وظفرت الحكومة الفرنسية بصفقات أسلحة سخية. وأما فريق «الجي إي جي أن» فقد عادوا إلى بلادهم، وفي يد كل واحد منهم ساعة «روليكس» ذهبية نقش عليها شعار المملكة السعودية: سيفان مسلولان يتقاطعان حول نخلة.

الهوامش:

1- انظر الملحق رقم 6 الخاص بالبرقيات الدبلوماسية الأميركية عن حادثة الحرم المكي، في كتاب «حتى لا يعود جهيمان: حفريات أيديولوجية وملاحق وثائقية نادرة» - إعداد: حمد العيسى (منشورات منتدى المعارف، بيروت، 2013) ص: 235- 237.

2- Sandra Mackey - The Saudis: Inside the Desert Kingdom (W .W. Norton - 2002) p: 231

3- مقابلة مطولة مع ولي العهد السعودي فهد بن عبد العزيز، نشرتها جريدة «السفير» اللبنانية في عدد يوم 9 كانون الثاني/ يناير 1980.

4- انظر برقية السفير الأميركي في مصر ألفريد أثرتون، عن نظرية حسني مبارك بخصوص أحداث مكة، ضمن ملحق البرقيات الدبلوماسية الأميركية، في كتاب «حتى لا يعود جهيمان»، ص: 229.

5- انظر برقية السفير الأميركي ديفيد نيوتن من دمشق، ضمن ملحق البرقيات الدبلوماسية الأميركية، في المصدر السابق، ص: 231.

6- انظر برقيتي السفير الأميركي في الأردن، عن لقائه مع الملك حسين، ومع ولي العهد الأمير حسن، ضمن ملحق البرقيات الدبلوماسية الأميركية، في المصدر السابق، ص:227 و268.

7- انظر برقية السفير الأميركي موفات من الرباط، ضمن ملحق البرقيات الدبلوماسية الأميركية، في المصدر السابق، ص: 350.

* كاتب عربي

شذرات

جرائم الحرب العالمية الثانية الخفيّة وجزّاروها

زياد منى

يقال إن التاريخ يكتبه المنتصر، لكن في هذا العصر الذي صار فيه كثير من المراجع والمؤلفات والوثائق... ذات العلاقة بموضوع ما متوافرة على نحو شبه مجاني لكل من يبحث عنها، فإن الحقائق، المفجعة حقاً، الخفية والمخفية والمسكوت عنها، من الممكن أن تجد طريقها إلى النشر والانتشار.

من حقائق الحرب العالمية الثانية، التي كانت إلى حد كبير حرب اللصوص الإمبرياليين مستعمِري الشعوب الضعيفة، أنها انتهت بمحاكمات نرمبرغ وطوكيو، التي أطلق «الحلفاء» عليها تسمية «آخر معارك العدالة» حينما خضع بعض قادة ألمانيا واليابان للمحاكمة وحكم بالموت على بعضهم، وبالسجن على آخرين، بينما حظي كثر بعناية أميركية خاصة، إذ أعيد الاعتبار إليهم وتسنّموا مواقع قيادية مهمة في الدولة الألمانية الغربية التي أعلن قيامها في السابع من أيلول 1949.

مرت مدة زمنية طويلة قبل أن يكتشف الغرب الاستعماري مناسبة جديدة لتقديم أفراد معادين له إلى المحاكمة بتهم جرائم حرب، فقد أعلنت محكمة الجنايات الدولية أن كلاً من الجنرال رادكو ملادتش وسلفوبودان مِلسُفتش جزاران؛ الأول «جزار البوسنة» والثاني «جزار البلقان». المسألة هنا ليست البحث في صحة التهم، إذ تتوافر مؤلفات مهمة عن الموضوع، وهي ليست موضوعنا على أي حال، وإنما الحديث في مرشحين أكثر جدارة بالحصول على هذا النعت.

لنعد الآن إلى ليلة الرابع عشر من شباط 1945؛ لنتذكر أن الحرب في أوروبا انتهت عملياً في منتصف نيسان 1945، ورسمياً في التاسع من أيار من العام نفسه. في تلك الليلة، انطلقت مئات من قاذفات القنابل البريطانية (805 قاذفات) إلى فضاء مدينة درسدن الألمانية لتبدأ دكها بقنابل حارقة، عدّت في تلك الأيام من أسلحة الدمار الشامل. النتيجة أنه في تلك الليلة دمرت قاذفات القنابل البريطانية نحو 30 ألف مبنى، وقتلت أكثر من مئة ألف روح بشرية من المدنيين، رجالاً ونساءً وأطفالاً، وفي تقديرات أخرى، وصل عدد القتلى إلى نحو نصف مليون، والرقمان تجاوزا عدد ضحايا هيروشيما.

درسدن، تلك المدينة الجميلة لم تكن ذات أي أهمية استراتيجية أو تكتيكية، وسقوطها من عدمه لم ليكن ليؤثر في مسار الحرب في أوروبا التي كانت على وشك الانتهاء. على العكس، كانت درسدن مدينة لقاء الحضارات الأوروبية، مدينة المتاحف والمباني الجميلة والإبداع الفني. والغرب عدها متحفاً مفتوحاً، وأهم مركز لمباني عشر البارُك في العالم. ودرسدن لم تكن تضم أي معمل أو مركز حربي استراتيجي أو حتى تكتيكي.

رئيس وزراء بريطانيا، ونستن تشرشل، هو من أمر بتدمير المدينة على رؤوس أهلها وسكانها، وكان يعلم أن الضحايا من المدنيين، وخصوصاً أنها كانت مكتظة باللاجئين المطرودين من مدنهم وقراهم في شرق ألمانيا، وفق وعده لبولونيا بتسليمهم أرضاً مطهرة عرقياً من الألمان.

في نهار اليوم التالي، نفذ سلاح جو الولايات المتحدة غارات إضافية على المدينة ضاعفت أعداد الضحايا وزادت الخراب. من الألمان الذين عاصروا ذلك اليوم الرهيب، أخبروني أنه كان بإمكانهم قراءة الكتب على ضوء وهج القنابل الحارقة، مع أن بيتهم كان يبعد نحو خمسين كيلومتراً عن المدينة.

لا يهمنا هنا من خطط ونفذ هذه الجريمة التي هي إبادة جماعية موصوفة، لأن قرار التدمير لم يكن عسكرياً وإنما سياسياً. لقد كانت مجزرة بكل ما في النعت من معان.

الجزار الأول هو تشرشل. فهو الذي أصدر الأمر بإحراق المدينة بمن فيها وما عليها، عالماً مسبقاً بأن الضحايا هم من المدنيين. وتشرشل صاحب تاريخ حافل بالجرائم بحق الإنسانية، من الأمر باستعمال الغازات السامة ضد المدنيين في العراق إلى جرائم المجاعة في أفريقيا، التي أجبرت حتى الرئيس باراك أوباما على تذكره وأمره بإزالة تمثال له من المكتب البيضاوي في البيت الأبيض (أعاد دونالد ترامب التمثال إلى مكانه).

الجزار الثاني هو الرئيس الأميركي فرنكلين دي. روزفلت الذي شارك في اتخاذ القرار، وهو من أرسل آلات القتل الأميركية لتقضي على ما تبقى في المدينة من حيوات. أما الجزار الثالث، فهو قائد قوات الحلفاء في أوروبا، الجنرال دوايت آيزنهاور، الذي انتخب لمنصب الرئاسة في البيت الأبيض.

ومع أن الجنرال الجزار لم يكن سياسياً وقت ارتكاب جريمة الإبادة الجماعية الموصوفة، فإنه كان يدرك أن دك المدينة سيؤدي إلى خسائر هائلة بين المدنيين. وقد علمنا من قبل، وفي هذا المنبر تحديداً، أن ذلك الجنرال كان مسؤولاً مباشراً عن موت نحو مليوني أسير حرب ألماني تضوراً وبسبب الأمراض والأوبئة في معسكرات الاعتقال، على ما يرد في المراجع والوثائق الأميركية وغيرها.

يضاف إلى قائمة الجزارين الجنرال آرثر ترفِس هريز قائد أساطيل القاذفات البريطانية الذي قبل تنفيذ مهمة تحويل المدينة «المتحف في الفضاء المفتوح» (open air museum) إلى «محرقة في الفضاء المفتوح» (open air crematorium) وفق وصف أحد المؤرخين الأميركيين. من يعد هؤلاء الجزارين أبطالاً قوميين لا يحق له الحديث عن جرائم الآخرين. قوائم جزاري الغرب الاستعماري طويلة، وسنعود إليها في مناسبة أخرى.